

«الحلقة الثانية»

الهجرة غير الشرعية .. مشكلة تؤرق اليمن!!

يعد العبور من القرن الأفريقي إلى اليمن واحداً من مسارات بحرية عدة هي الأكثر خطورة في العالم ويمثل خليج عدن واحداً من أكثر تلك المسارات البحرية استخداماً في العالم من حيث الهجرة المختلطة وأكثرها خطورة.

من القرن الافريقي إلى اليمن

تهريب البشر.. قصة (70) ساعة من الرعب والخطر



ما قبل الرحلة

تساءلنا عن سبب المخاطرة والمجازفة التي يقبل بها المهاجر الصومالي للوصول إلى اليمن عبر رحلة التهريب، فأجابت الخالة حبيبة عثمان وهي لاجئة صومالية واستشارية سابقة بالفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين بالقول: عندما يكون الشخص هاربا من الحرب والموت لا يكون أمامه سوى هدف واحد وهو النجاة، لذلك هو لا يهتم ما إذا كان صاحب القارب المهرب مجرماً أم مسلحاً أم مهرباً أو غيره المهم عنده أن يغادر الصومال ويصل إلى اليمن بأي طريقة.

وتشير إلى أن المخاطر لا تنحصر فقط بتلك التي يواجهها المهاجر في البحر بل أن هناك مخاطر ومعاناة يتعرض لها المهاجر قبل رحلته، وتقول: عندما يلتقي المهاجر الصومالي بالدلائل الوسطاء في بوضاصو ويدفع لهم 150 دولاراً ويحددون له موعد الرحلة وموقع انطلاقها ويكون عادة في منطقة نائية وبعيدة عن المدينة لذا يضطر للمشي ليلاً مسافة يوم كامل للوصول إلى تلك المنطقة وخلال الرحلة المسائية يتعرض الكثير منهم لمصاعب ومتاعب وتحديات كبيرة كالتهرب للاغتصاب والنهب والتقطيع والإعتداء الجسدي فضلاً عن المعاناة النفسية والأجهاد.

رحلة رعب أخرى

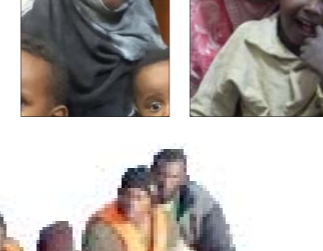
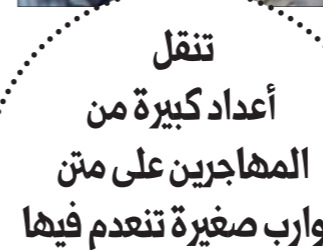
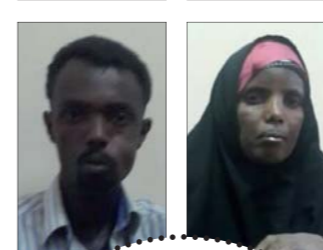
غير أن رحلة الرعب والمعاناة تلك لا تنتهي لدى بعض المهاجرين الأفارقة بوصولهم الأراضي اليمنية، بل يبدأون رحلة رعب أخرى لا تقل مخاطرة عن سابقتها عندما يتخذون اليمن محطة ترانزيت وعبور إلى الأراضي السعودية ويضعون حياتهم رهناً لتصرف عصابات التهريب وشبكات الاتجار بالبشر.

عن طريق مهرب صومالي مقيم في صنعاء نجح مختار إبراهيم من التهريب مرة أخرى ولكن هذه المرة إلى داخل الأراضي السعودية، حيث تمكن من التسلل والعبور إلى السعودية خمس مرات وتم القبض عليه وترحيله إلى الصومال مرتين.

تهريب وتعتيب

يتحدث عثمان عبده وهو مهاجر صومالي عن رحلة التهريب إلى السعودية بقوله: عندما اكتمل عدداً خمسة صوماليين أخذنا المهرب الصومالي من صنعاء ومعه ثلاثة يمنيين إلى حرض لتسهيل عبور النقاط الأمنية في الطريق.

رحلة رعب أخرى تبدأ عندما يضع البعض حياته رهناً لتصرف المهربين للوصول إلى السعودية



تنقل أعداد كبيرة من متن قوارب صغيرة تتعدم فيها شروط السلامة

ذبح وغرق

الأمر ذاته كان حاضراً في رحلة حليلة يوسف وعمرها 35 عاماً عندما سافرت على متن قارب صغير يقل عشرين شخصاً من جنوب الصومال لكن لم يصل منهم إلى اليمن إلا خمسة أشخاص فقط بعد تعرض البقية للذبح على يد المهربين أو الرمي في البحر أو الموت غرقاً أو جوعاً.

وتقول: بعض النساء رموهن في البحر وشخص ذبحوه وألقوا بجثته إلى البحر لأنه اعترض على طريقة تعاملهم معنا.

وتضيف: عندما اقتربنا من الشاطئ أطلقت البحرية اليمنية علينا الرصاص فأمرنا صاحب القارب بالنزول في البحر فالبعض نجا والبعض غرق بينما هو تمكن من الهرب.

ممنوع شرب الماء

وتذكر بشارة محمد علي 45 عاماً وهي مهاجرة صومالية، تمكنت من الوصول إلى اليمن في عام 2004م أنها لم تكن تعلم شيئاً عن مشقة الرحلة أو أنها تتوقع أن تواجه كل هذه المشاكل، وتقول: أكبر مشكلة واجهتها في الرحلة كان العطش الشديد حيث كان المهاجرون يمتنعوننا من شرب الماء وكانوا يتعمدون رمي قوارير الماء إلى البحر، وتؤكد أنهم تعرضوا خلال الرحلة للضرب والإهانة والإيذاء وعندما شاركوا على الوصول إلى الشاطئ اليمني رموهم في البحر كما لو كانوا نفايات يتخلصون منها.

المحرك تعطل

وإلى جانب شدة الزحام وسوء تعامل المهربين مع الركاب وتعرضهم للضرب والإيذاء والرمي وسط البحر فإن استخدام قوارب غير آمنة وغير صالحة لنقل الركاب يعد شكلاً من أشكال المخاطرة التي يجازف المهاجرون الأفارقة بركوبها يومياً، وهو ما تعرضت له فروسه مختار 25 عاماً وهي مهاجرة صومالية اضطرت لغادرة موطنها نتيجة العنف والصراع الدامي الدائر فيه، وتقول: كنا 39 شخصاً على متن قارب صغير وكنا نعاني من الازدحام والاكتظاظ داخل القارب لكن المعاناة زادت أكثر عندما تعطل محرك القارب وبقينا في عرض البحر ليوم كامل.

على البركة

أما حواء محمد علي 32 وهي مهاجرة صومالية قدمت اليمن منذ عشر سنوات فإن معاناتها في رحلة التهريب إلى اليمن رواية أخرى، حيث كانت على متن إحدى سفينتين تقلان عدداً من المهاجرين، الأولى لديها بوصلة ملاحية بحرية والثانية بدون وكانت تسير خلف الأولى.

وتقول حواء: كنت في السفينة الثانية وكنا نسير على مقربة من السفينة الأولى وفي نفس مسارها لكن فجأة تعطلت السفينة الأولى وغرقت وعلى متنها 250 راكباً ولم يكن أمامنا سوى متابعة الرحلة على البركة بدون بوصلة أو دليل.

استطلاع/ عبدالله بخاش

آلاف من المهاجرين الأفارقة القادمين من القرن الإفريقي يقضون نحو 70 ساعة رعب في رحلات مخوفة بالخطر عبر خليج عدن أو باب المندب للوصول إلى اليمن وما بعدها يخاطرون بحياتهم فراراً من الصراع والفقر والجفاف المتكرر، أملاً في الحصول على حياة أفضل.

عدد منهم يلفظ أنفاسه الأخيرة قبل بلوغ مبتغاه فيموت خلال الرحلة جوعاً أو ظمأً أو غرقاً، بينما آخرون يتعرضون للإيذاء والإصابة أو الاعتصاب على أيدي مهربين عديمي الضمير، وسعيد الحظ منهم من يصل إلى الشواطئ اليمنية وسأزال به رفق من حياة وأمل.

لحظات حرجة وعصيبة يقضيها المهاجرون الأفارقة تحت رحمة المهربين وتجار البشر، يتعرضون خلالها لصنوف من الإيذاء والتعذيب النفسي والعنف الجسدي والجنسي طبقاً لتقارير المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

قوارب صغيرة

تبدأ فصول المأساة الإنسانية عندما ينقل المهربون المهاجرين الأفارقة تحديداً من أثيوبيا والصومال على متن قوارب صغيرة لا تصلح للإبحار أو تتعدم فيها شروط الأمان والسلامة، وغالباً يحملونها فوق طاقتها معرضين المسافرين لظروف قاسية ومعاملة بالغة السوء.

تقول أمينة جامع 38 عاماً وهي مهاجرة صومالية دخلت اليمن عام 1992م كنا 150 شخصاً متزامين على متن قارب صغير وكان أكثر شيء يخيفنا هو غرق القارب وسط البحر.

وتتابع: استمرت الرحلة ثلاثة أيام رأينا فيها الموت، فالناس كانوا فيها جوعاً ولا يوجد ما يأكلون وكانوا يتقيأون فوق بعضهم بعضاً، وحتى العمليات التي يعملها الإنسان (كالبول) كانت تحصل لهم فوق القارب لأنه لم يكن هناك حمام.

وتذكر أمينة أنه برغم كل المتاعب إلا أنه لا أحد من المهاجرين يجرؤ أن يتكلم أو يشتكي حتى ولو كان مريضاً لأن المهربين سيضربون الكل بلا رحمة أو تمييز بين مريض أو عاجز.

وتقول: إذا وقف شخص ورفض الجلوس يأخذه المهربون ويرمونه في البحر وإذا شافوا شخص وزنه زائد يرحمونه في البحر أيضاً.

رمياً في البحر

أما مختار إبراهيم 26 عاماً وهو مهاجر صومالي أيضاً وصل اليمن عام 2006م قادماً من بيادو بجنوب الصومال فقد تمكن من مغادرة الصومال عن طريق دلال (سمسار) تابع لشبكة التهريب، ساعده في الحصول على قارب سفر مقابل 150 دولاراً.

ويقول: كنا أشبه برهائن وليس مسافرين 300 شخص مجبرين على الجلوس داخل قارب صغير يتسع لحوالي 100 شخص فقط، ولم يكن لدينا لا ماء ولا أكل، وكان المهربون بين وقت وآخر يضربوننا وكانت الرحلة متعبة للغاية.

ويضيف: كانوا يتعاملون معنا بعنف ووحشية، سبعة ركاب رموهم في البحر ولما وصلنا إلى

الجانب السعودي.

وقال: أي صومالي ما معه قريب في السعودية أو تتأخر عملية إرسال المبلغ يتعرض للاهانة والإيذاء والتعذيب على يد المهربين في حرض ونفس الأمر يحدث مع المهربين السعوديين.

معاناة أخرى

أما بالنسبة لمن استقر بهم المقام في صنعاء أو عدن أو غيرها من المحافظات اليمنية فيستكون من ضيق الحال وشحة الدخل وانعدام فرص العمل وعجز أغلبهم وقلة حيلتهم وغياب الاهتمام باحتياجاتهم.

يستكي البعض من غياب الخدمات الرعاية الأساسية وفي مقدمتها الرعاية الصحية والعون الغذائي، فيما تتحدث الخالة حبيبة عن انتهاء مدة صلاحية بطائق اللجوء والمنوحة للاجئين الصوماليين منذ سنوات وعجزهم عن تجديدها، فالقوضية تطلب سبعة آلاف ريال رسوم تجديد وإجراء فحوصات طبية تصل تكلفتها (7-10) آلاف ريال ويسبب عجزهم عن التجديد كثيراً ما يقع اللاجئون الصوماليون أمام مسالة الأجهزة الأمنية خصوصاً أثناء تنقلهم في المدن اليمنية.

في الأخير

في الأخير تطالب حواء وفروسه ورحمة وغيرهن ممن التقيناهن المفوضية بتسهيل عودتهم إلى الصومال فيما ينصح مختار أي صومالي بنوي التهريب إلى اليمن بالبقاء في بلاده، ويهمنس في أنه قائلاً: أحسن لك تعيش بين الرصاص ولا تتهرب لليمن.